إعادة القراءة على الكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" تأليف الإمام أبي الوليد محمد بن احمد بن محمد احمد بن رشد القرطبي

محمد مخلص هدى
Sekolah Tinggi Agama Islam Nahdlatul Ulama (STAINU) Madiun
muhammadmuchlishhuda@gmail.com
محمد حمدان
Sekolah Tinggi Agama Islam Nahdlatul Ulama (STAINU) Madiun
azmiawanmuhammad@gmail.com

أ. خلفية كاتب

ولد الرشد سنة ٥١٠ للهجرة في القرطبة إسبانيا حيث أصبحتهذه الدائرة احدى من مركز حضارة الإسلامية المتقدمة والرائعة في العالم وفيها منتجات بعض المفكر والفيلسوف الإسلامي مثل ابن باجة وابن طفيل. بهذه الحالة أصبحت قرطبة حين ذاك منافسا لدمشق وبغداد والقاهرة وسائر المدن الكبرى في البلدان الإسلامية الشرقية.[1] عاش ابن رشد في وسط العائلة رغبت كثيرة في العلوم والمعرفة. تخصصت هذه العائلة في مجال علم الفقه والقانون الإسلامي حيث أصبحت الرشد قاضي القرطبة في عمره ٥٥ سنة. تناول الرشد بعض الكتب المشهورة من العلماء القدماء مثل "الموطاء"

[1] M.M. Syarif, *History of Muslim Philosophy*, Vol. I (Wisbaden: Otto Horossowitz, 1963), 197.

لإمام مالك حتى درسه وحفظه مع أبه ابو القاسم ثم جاء الرشد بتعليقه في نهاية درسه عن هذا الكتاب.

أما في مجال خلفيته الأكاديمية, يحب هذا الرجل حبا شديدا الى فكرة أريسطوطوليس الفيلسوف المشهور من يوناني الذي جاء بمنهج الفكري التجريبي *Empirism* ويعارض أريسطوطوليس على منهج الفكري أفلاطون حيث جاء بمنهج الفكري العقلاني *Rasionalism*.

ويعقب بذلك, كان عالم الأوروبا حين ذاك لا يزال في العصر من العصور الظلمة والجاهلية تحت سيطرة الكنيسة. فأصبحت حضارة الإسلامية في إسبانيا من خلال دائرة القرطبي سلطة في نشر العلوم والمعارف وتيكنولوجي الحديثة بل وأتبعها الأوروبا الى التقدم. فمن سياق التاريخي, أصبحت الإسباني جسر الى أوروبا لتعلم ودراسة العلوم والمعرفة والحكمة والفلسفة.

أصبح الرشد خبير في مختلفات تخصصات العلوم مثل الرياضيات والفيزيائيات, والفلسفة والطب. مهما كان الرشد خبير في مختلفات العلوم ولكن يعين تركيز علمه في مجال الفلسفة.فاشتهر بأنه احدى من الفكر والفيلسوف المسلم في الغرب.فعمظم مؤلفاته يعرض ويبدي على وجهة نظره الفلسفائية منها "تهافت التهافت". هذا الكتاب هو مشروع ابن الرشد في النقد على مؤلفة الغزالي تحت العنوان "تهافت الفلاسفة". فيحتمل هذا الكتاب على نقد النقد والتعليق الذي جاء به الغزالى الى الفيلسوف بل ويكفر الغزالى عليهم. فمن خلال كتابه "تهافت التهافت"كتب الرشد نقطة فنقطة على فكرتهم المتناقضة بما فكر الغزالى.

المؤلفات الأخرى هي "الفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الإتصال". فمن هذا المشروع يتصف الرشد على الإتصال والترابطبين الدين والفلسفة وفيه أيضا البحث في علم الكونية ونطاقه يدور حول قديم وحديثة العالم.[2] ثم الكتاب "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة". هذا الكتاب نقد على ما وضع المتكلمون والمتصوفون من مناهج في استنباط علمهم. ثم الكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" فهذا الكتاب هو قانون في علم الفقه.

[2] Ibnu Rusyd, *Fashl al-Maqal wa Taqrir Bayin al-Syari'ah wa al-Hikmat min al-Ittishal*, Tahkik: Muhammad Immarat (Kairo: Dar al-Ma'arif, 1972), 40-42.

ب. مناسبة ظهور المؤلفات

فيحتمل هذا الكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" على اختلاف علماء المذاهب في مسئلة احكام الفقه. فتبين غاية ابن الرشد من خلال هذا الكتاب بأنهسيسهل المتعلم على معرفة اختلافات بين الفقهاء بمذاهبهم المختلفة.اما المقاربة التي استخدم الكاتب في كتابة "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" هي المقارنة حيث يقارن الكاتب على أرجح أراء فقهاء مذاهب الفقه ويكمل بها الأحاديث المؤيدة فيها ثم في بعض الأبواب يرجح الرشد على هذه الأراء المختلفة هذا كما قد وقع في جدلية الفقهاء في مسئلة نظر الهلال في أول شهر رمضان, فبعد جاء الرشد بخلاف العلماء والفقاء في الأحاديث المتعلقة بوجوب قبول شهادة الهلال ثم جاء الرشد بترجيحهم.[٣]

ت. ايجابيات المؤلفات

علما بمناسبة ظهور هذا الكتاب وخلفية كاتب هذا الكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" المذكورة هذا الكتاب مزاياته الخاصة على الكتب الفقه الأخرى.

١. لا يتكلم هذا الكتاب بمجرد علم الفقه وأحكامها فحسب انما يبحث أيضا هذا الكتاب اختلاف الفقهاء في مجال الحكم الفقهية حيث يعرض فيه أراء العلماء المختلفة من سائر مذاهب الفقه والأحاديث النبوية المستخدمة دليلا لرأيهم.فيمكن للمتعلم والمجتهد أن يتسع معرفاته في ميدان اختلاف العلماء في مشكلة الفقه في سياق وظروف حين ذاك وفي وقت مستقبل.
٢. المؤلف هذا الكتاب هو رجل موسوعي يتسع ويمتد علومه في مجالات المتنوعة حيث يستولى بعض أهمية العلوم مثل الفقه والرياضيات والفيزيائيات والطب. ففي بعض أبوابه ذهب المؤلف شرخه وبيانه الفقهية إنطلاقا من علم الطب. وفي بعض أبوابه الأخرى ذهب المؤلف شرخه وبيانه الفقهية انطلاقا من علم الرياضيات كما بينها المؤلف عن مسائل أواشل الشهر وحسابها.
٣. يخصص ابن الرشد في نقد فكرة بعض العلماء حتي اشتهر بأنه رجل شارح

[3] Ibnu Rusyd, *Bidayatul Mujtahid Wa Nihayatul Muqtashid* (Dar El Ma'rifah, 1982), 288.

(Explainer), ينقد فكرة أريسطوطوليس وينقد فكرة الغزالي من خلال كتابته المشهورة "تهافت التهافت" نقدا على كتابة الغزالي " تهافت الفلاسفة", وكما قد سبق من نقده وشرحه جاء الرشد بأسلوب ثابتة بما فعله في هذا الكتاب "بداية المجتهد" حيث يقارن الرشد اراء الفقهاء في مسئلة واحدةثم جاء بترجيح هذه الأراء الكثيرة.

٤. فالمسائل الفقهية التى وردت في هذا الكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" وافرة حيث يبحث فيه كل من المسائل الفقهية من كتاب الطهارة الى كتاب الأقضية مقترنا بجدلية الفقهاء فيما يتعلق به.

ث. سلبيات المؤلفات

بعد أن يلاحظ الباحث ملاحظة لمحائية على هذا الكتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" فبعذ السلبيات التي تمكن ذكرها كما يلي:

١. يكثر الرشد في ذكر اراء فقهاء مذاهب المختلفة ولكن يقللها في ذكر اراء الفقهاء من مذهب امام أحمد بن حنبل رغم أن هذا المذهب احدى من المذاهب الكبيرة والمشهورة عند المسلمين.

٢. فكلما دخل الرشد في ميدان اختلاف فقهاء المذاهب, لايقتبس الرشد تخريج أحاديث التي أخذها الفقهاءليؤيد على اراءهم المختلفة ويكفيه بروايتها رغم أن هذا أمر مهم في استدلال الحكم من خلال الأثر المروية. خذ على سبيل المثال, حين ما ذكر الرشد على حديث أبي هريرة وحديث عثمان في مسئلة سبب إيجاب الطهر من الوطء. فأصدر الرشد حديثان ثابتان إتفق بعض العلماء في صحيحهما. [٤]

ج. الإقتراحات عن المؤلفات

١. يستحسن إذا يعرض الرشد على تخريج الحدي والأثر الذي يستدل الفقهاء بهما أو على الأقل يقتبس الرشد إقتباسا تخريجيا تاما حيث يعرفون المتعلم على درجة الأثر والحديث ويقارن بتخريج الحديث من الفقهاء الأخر.

[4] Ibnu Rusyd, *Bidayatul Mujtahid Wa Nihayatul Muqtashid* (Dar El Ma'rifah, 1982), 47.

٢. يستحسن للكاتب إعراض أراء فقهاء المذاهب بلا استثنيات لإعتدال كل ما جاء من جدلياتهمفي مذهب الفقه.

ح. اراء العلماء

أثرت فكرة ابن الرشد في القرطبة تحت خلافة أبو يوسف يأقوب المنصور (١١٨٤-١١٩٩ ميلاديا). إشتهر الرشد بأن رجل شارح, يشرح بعض الكتب المشهورة مثل الكتاب "تهافت الفلاسفة" تأليف الغزالي, وبعض الكتب التي ألفها اريسطوطوليس. كالفيلوسوف فلا يجب فقهاء وعلماء خلافة المنصور على كون الرشد وفكرته.فيفترض العلماء والفقهاء على أن الرشد جاء بفكرة فلسفية التي تناقض هذه الفكرة بحضارة وتعاليم الإسلام. فكون فكرة العلماء والفقهاء يأخذ مكانا كبير ودورا كثيرا على خلافة المنصور.[٥]

المراجع

Nasution, Harun. *Filsafat dan Mitisisme dalam Islam*. Jakarta: Bulan Bintang, 1973.

Rusyd, Ibnu. *Fashl al-Maqal wa Taqrir Bayin al-Syari'ah wa al-Hikmat min al-Ittishal*, Tahkik: Muhammad Immarat. Kairo: Dar al-Ma'arif, 1972.

Rusyd, Ibnu. *Bidayatul Mujtahid Wa Nihayatul Muqtashid*. Dar El Ma'rifah, 1982.

Syarif, M. M. *History of Muslim Philosophy*. Wisbaden: Otto Horossowitz, 1963.

[5] Harun Nasution, *FilsafatdanMitisismedalam Islam*, Cet. Ke IX (Jakarta: Bulan Bintang, 1973), 47.